الصهيونية الجديدة بين الارض والسماء

ايان لوستيك، الاصولية اليهودية في اسرائيل، من اجل الارض والربّ (ترجمة حسني زينة)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩١، ٢٨٥ صفحة.

في درس الظاهرة الاسرائيلية، يصعب تطبيق النظريات المسبقة والمقاييس الجاهزة. فثمة ظاهرة خاصة تملي على الدارس خصوصية مماثلة لدرسها، أو لمقاربتها مع غيرها من الظواهر.

وفي تفاصيل الظاهرة الاسرائيلية تحتل الدهشة والغموض حيّزاً كبيراً من المساحة المخصصة للدرس الموضوعي. ولعل ظاهرة الأصولية اليهودية المعاصرة، بما هي موضوع للدرس، تنطوي على قدر كبير من المفارقات والملابسات، التي لا يمكن تفسيرها، أو تبريرها، بمعزل عن فهم خصوصية الظاهرة الكلية ـ المشروع الصهيوني.

الباحث الاميركي ايان لوستيك درس الظاهرة الاصولية اليهودية في اسرائيل، في كتابه «الأصولية اليهودية في اسرائيل؛ من أجل الأرض والرب»، محاولاً الاجابة عن جملة الاسئلة التي واكبت نشأة هذه الظاهرة، وتطورها، وتلمّس الآفاق المستقبلية لهذه الظاهرة.

يتألف الكتاب من تمهيد وسبعة فصول، وتشمل مساحة البحث كامل الظاهرة الأصولية في اسرائيل، بدءاً من تعريف مصطلح الأصولية، وانتهاء باستقراء مستقبل الأصولية في اسرائيل.

حدد لوستيك هدفه من وضع الكتاب عندما أورد في التمهيد: «ان غايتي من هذه الدراسة هي المساهمة في النقاش بشأن مستقبل اسرائيل، وذلك ببسط ما يريده الأصوليون، وكيف يعتقدون بأنهم سيفوزون بما يريدون، وما يخشونه، وما يختلفون بشأنه فيما بينهم...».

وفي الفصل الأول من الكتاب، الذي سمّاه المؤلف «مقدمة» تعرض الى ظاهرة الأصولية والملابسات التي رافقت ولادتها، عقب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، والهدف الأساس للاصولية اليهودية، المتمثل في بسط الحكم اليهودي على «أرض ـ اسرائيل الكاملة»؛ كما أوجز أهم الحقائق المتصلة بهذه الظاهرة، على الصعيدين، الداخلي والخارجي. فعلى الصعيد الداخلي تعرض الوزن الكبير للأصوليين اليهود في الحياة السياسية الاسرائيلية، وتناقض هذا الوزن مع نسبتهم العددية الضئيلة في اسرائيل، ومحاولات الأصوليين لنقض الاجماع الوطني الاسرائيلي على معنى «القومية اليهودية» وحدود دولة اسرائيل. كما بيّن الخطر الذي يمثله الأصوليون على الديمقراطية الاسرائيلية. أمّا على الصعيد الخارجي، فاستعرض المؤلف الخطر الذي تمثله الأصولية على احتمالات التسوية وتصعيد النزاع الاقليمي في المنطقة.

ولعلّ أهمّ ما انطوى عليه الفصل الأول من الكتاب هو محاولة تعريف الأصولية اليهودية وتمييزها عن الظواهر الأخرى في العالم، التي يمكن ان يستعار لها المصطلح ذاته. فبعد ان استعرض المؤلف التعريفات السائدة لمصطلح الأصولية، اعتمد تعريفاً خاصاً للأصولية، من أجل أهداف الدراسة، وهو: «يعد نظام ما من العقائد أصولياً بنسبة ما يعتبر أتباعه مقولاته مقتضيات قطعية سامية مباشرة لا تقبل المساومة والتسوية، بل تملي العمل السياسي الموجّه نحو اعادة بناء المجتمع بناءً شاملاً وسريعاً».